

SIATS Journals

Journal of Arabic Language Specialized Research (JALSR)

Journal home page: http://jalsr.siats.co.uk

e-ISSN: 2289-8468



مجلة اللغة العربية للأبحاث التخصصية

المجلد 5، العدد 2، 2020

e-ISSN: 2289-8468

نمو الذات وتأثيراته على لغة الطفل

THE IMPLICATIONS OF SELF GROWTH ON CHILD LANGUAGE

Dr. Elsayed Makki Elbishr Ali Hassan Senior lecturer
(elsayed@fbk.upsi.edu.my)

Faculty of Languages and CommunicationSultan Idris Education University Perak, Malaysia.

&
Asst. Prof. Dr. Hassan Suleiman

(abuxzubair@iium.edu.my)

Department of Fiqh and Usul Al- fiqh, KIRKHS, IIUM

2020

ARTICLE INFO

Article history:

Received 01\05\2020
Received in revised form 01\20\2020
Accepted 07\01\2020

Abstract:

This study focused on the effect of infant personal growth towards stages of language acquisition. It aims to discuss on personal growth stages and the objective of the study, and the extent of its effect in shaping the child's language. It proposes a necessary question; does the study of personal growth stages can sufficiently rely on observation alone? Similarly, this research touches upon the importance of external factors that can affect the child's life and language, and gives an idea on the development of foetus in its early weeks, and the relationship of the mother with the foetus, in terms of understanding the significance and educational relationship between the psychological and health condition of the mother and her foetus as a child-to-be, and how it passively and actively affects its psychology, stimulation, emotion and language in the future life. The current reality has shown that the early stage of infancy is crucial for the future life of a person as children in this stage of growth begin to properly adapt themselves with the external environment just as how cultures and traditions constitute their first lesson in life. No doubt that a child's language acquisition is important in shaping a strong presence of his attempt to adapt to the very environment that he lives. This research concludes that personal growth has a major role in affecting the child's language. The author suggests that it is necessary to materialize several applied linguistic and educational programmes and have them recognized to fruitfully benefit from the stages of growth in orientating the child's education and language acquisition until he has obtain sound education based upon modern scientific foundations.

Key terms: Personal growth, language acquisition, observation, maturity, language development

ملخص البحث

يتناول هذا البحث موضوع تأثير نمو الذات على مراحل اكتساب اللغة عند الطفل. حيث يهدف البحث إلى تناول مراحل النمو والغرض من دراستها، ومدى تأثيرها في تكوين لغة الطفل. وهل دراسة مراحل النمو تعتمد على الملاحظة وحدها؟ كما يشير البحث إلى أهمية العوامل الخارجية التي تؤثر في حياة الطفل ولغته. ويعطي فكرة عن تطور الجنين في الأسابيع الأولى وعلاقة الأم بجنينها، حيث ندرك المغزى والارتباط التربوي بين حالة الأم النفسية والصحية وحالة جنينها عندما يغدو طفلاً، وأثر ذلك على نفسـيته وانفعالاته وعواطفه ولغته سـلباً وإيجاباً في مستقبل حياته. إن الواقع يخبرنا بأن مرحلة الطفولة المبكرة ذات قيمة كبيرة في حياة رجل المستقبل لأن الأطفال في هذه السن يبدأون في اكتساب

التوافق الصحيح مع البيئة الخارجية، كما أنهم يتلقون أول درس من دروس التقاليد والأعراف، ومما لا شك فيه أن الاكتساب اللغوي عند الطفل يشكل حضوراً قوياً في محاولاته للتوافق مع البيئة التي يعيش فيها. ولقد خلص البحث إلى أن نمو الذات له دور كبير في التأثير على لغة الطفل. ويوصي الباحث بضرورة برمجة بعض التطبيقات اللغوية والتربوية – والتي يجب أن تراعى – للاستفادة من مراحل النمو في توجيه تربية الطفل واكتسابه للغة حتى يتلقى الطفل تربية سليمة تقوم على أسس علمية حديثة.

الكلمات المفتاحية: نمو الذات – الاكتساب اللغوي– الملاحظة – النضج – التطور اللغوي

مقدمة

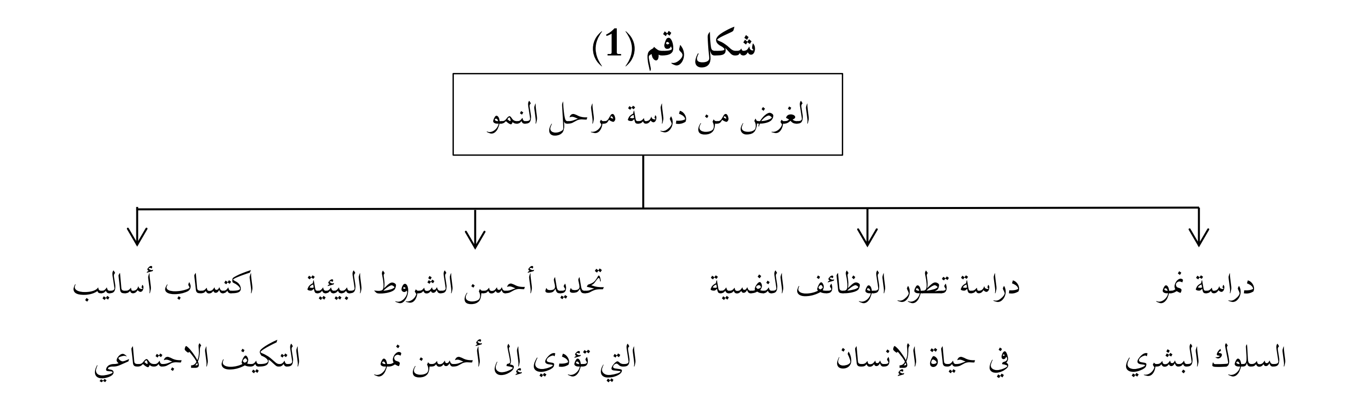
مما لا شك فيه أن الدراسة العلمية تقوم أساساً على الملاحظة، ومن ثم يأتي دور التجريب والخروج بنتائج تصح مطابقتها إلى حد ما بالواقع. وهذا هو الحال عند دراسة مراحل النمو. فالطفل عندما يولد يلاحظ أبواه ما يعتريه من ضعف وخوف وتغيير يتدرج بحسب تدرج الطفل في النمو. وغني عن القول إن الطفل السليم يلاحظ الناس من حوله مقدرته على النمو – خاصة النمو اللغوي – يوماً بعد يوم، حتى يصل إلى سن معينة يتوقع منه ألا يقوم بأفعال كان يقوم بها في صغره. و بالتالي يُلاحظ نموه الجسمي، والعقلي، وما يظهر عليه من سلوك مفاجىء، أو تحول في تعامله مع الآخرين. فإذا سلمنا أن الغرض من دراسة مراحل النمو هو أن نفهم النمو النفسي للطفل، وأن نقف على التغيرات الخاصة به، انفعالية كانت أم لغوية، والتي تحدث كنتاج طبيعي لنموه المتمرحل. فإن الباحث يطرح السؤال التالي:

**هل دراسة مراحل النمو تعتمد على الملاحظة وحدها؟

الغرض من دراسة مراحل النمو:

إجابة عن السؤال السابق، بالطبع إن الملاحظة تستلزم الفهم، والفهم يتعمق بالتنبؤ، وهذا ما درج عليه العلماء عند وصف وتحليل أي ظاهرة يقفون عليها. وعلى هذا يمكن وصف أهمية دراسة مراحل النمو من خلال الشكل التالي:

شكل رقم (1)



وهنا يرى الباحث إدراج المعادلة التي جاءت في كتاب (تطور نمو الأطفال)([1]).

والتي تقول: النضج x الرعاية = التطور.

فإذا كان الاهتمام بدراسة مراحل النمو ينبع من إتاحة الفرصة لتجميع أكبر قدر ممكن من المعلومات عن النمو الذي يحدث للطفل في فترات سنيه المختلفة، فإن للطفل في أنماطنا الاجتماعية التربوية الراهنة، منزلة تزداد وضوحاً ويتمثل ذلك في التواضع والاحترام لشخصية الطفل وعالمه اللغوي الخاص. مما ينعكس إيجاباً على الأسرة والمجتمع ووظائف التربية([2]). بمعنى أن النظرة التربوية للطفل تأتي من كونها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بنظم وتقاليد المجتمع الذي يولد فيه الطفل. فتتعمق في دراسة خصائص الطفل ونفسيته، وتُعِدُّه لمجابهة البيئة من حوله، وتساعده في كيفية الاستفادة من مكوناتها. على أنه يجدر بالباحث أن يضيف معلومة مهمة وهي أن دراسة مراحل النمو لا تركز على النمو الجسمي فحسب، بل تدرس أيضاً النمو العقلي والمعرفي والنمو الاجتماعي، وكذلك النمو اللغوي.

المبحث الأول:مرحلة ما قبل الميلاد:"PRENATAL PERIOD"

قال تعالى:((وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَان مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِيْنٍ* ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرارٍ مَكينٍ* ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَأما فَكَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً ثُمَّ أنشَأناهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخالِقِينَ))([3]).

---

[1]ويلارد أولسون: تطور نمو الأطفال – ترجمة: د.إبراهيم حافظ واخرون عالم الكتب – القاهرة 1962م ص 31.

[2]علي زبعور: التربية و علم النفس الولد في الذات العربية – دار الاندلس – بيروت – الطبعة الأولى 1985 م ص338.

[3]سورة المؤمنون الآيات:(12),(13),(14).

على ما اتصفت به الآيات من إيجاز، فإنها تنطوي على مراحل النمو والتكامل والنضج المتتالية، أضف إلى هذا أن الجنين في بطن أمه تتاح له البيئة المناسبة لينمو نمواً متكاملاً كما جاء في الآيات الكريمة، كما أن نمو الذات ([4]) يمثل وحدة متماسكة ومتناغمة. ويراد بنمو الذات هو أن يتاح للفرد من الظروف ما يمكنه من تحقيق إمكانياته التي جبل عليها وفطر، وتنميتها بحيث يبلغ بها مستوى يستطيع معه إدراك ما لديه من قدرات عقلية فطرية، وما يمكن أن يتحصل عليه من خبرات مكتسبة في استخدامها على أفضل وجه مستطاع. ومن مظاهر ذلك توظيف الطفل لجهازه الصوتي الذي يعينه على تعلم اللغة مستقبلاً.

إلى جانب ما تقدم لا بد من إثراء حياة الطفل عن طريق الأسرة، ويقصد بذلك انتفاع الطفل مما يتلقى من معرفه خالية من الشوائب ([5]).

فتبدأ هذه المرحلة منذ الحمل أي عند التقاء الحيوان المنوي بالبويضة ([6]) إلى الولادة ومدتها تسعة أشهر، ولما كانت حياة كل فرد تبدأ منذ حمله في بطن أمه فإن مرحلة الحمل تعد من الطفولة أيضاً، وتخضع هذه المرحلة للعناية والتربية، كما تخضع لها حياه الطفل الحقيقية على وجه الأرض. ولقد ثبت أن الجنين يتأثر بالظروف التي تمر بها الأم من ناحية الضرر أو النفع، وعلى ضوء هذا التأثير تفسر الفروق الفردية بين الإخوة، كما تشترك في تفسيرها عوامل الوراثة أيضاً ([7]).

وحري بالباحث أن يعطي فكرة عن تطور الجنين في الأسابيع الأولى، حيث يقول د.مصطفى فهمي ([8]) : تبدأ الحياة من بويضة الأنثى التي تتكون من خلية واحدة، ثم تنقسم بعد عملية الإخصاب إلى خليتين، ثم إلى أربع، ثم إلى ثمان، حتى يتكون الجسم من مجموعة من الخلايا، ويطلق على الطفل في الأسبوعين الأولين من الحياة اصطلاح"Ovum" أي بويضة، بينما يطلق عليه بعد ذلك حتى نهاية الشهر الثاني من الحمل اصطلاح"Embryo" أي جنين. وتأخذ الخلايا في التحول إلى خلايا عصبية "Nerve cells" والبعض الآخر إلى خلايا عظمية "Bone cells" أو خلايا خاصة بتكوين العضلات "Muscle cells" حيث يتواصل نمو الجنين فيزداد وزنه و طوله، ومعلوم أن الجينات "Genes" ([9]) التي يتقاسمها بنو البشر هي التي تميزهم كأناس. وعندما يصل الجنين إلى الفترة من الأسبوع التاسع عشر إلى الحادي والعشرين يستطيع أن يسمع ويتحرك. ومن هنا تبدأ أولى خطوات تعلم اللغة (مهارة الاستماع).

---

[4] عبد العلي الجسماني: سيكولوجية الطفولة و المراهقة و حقائقها الأساسة الدار العربية للعلوم – بيروت – الطبعة الأولى 1994م ص16.

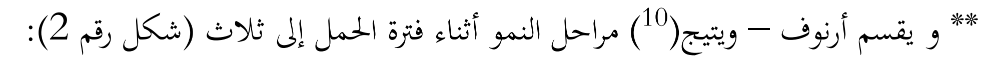
[5] المرجع السابق ص 16.

[6] P .M. Pickard : Psychology of developing children-London, 1970- p.13.

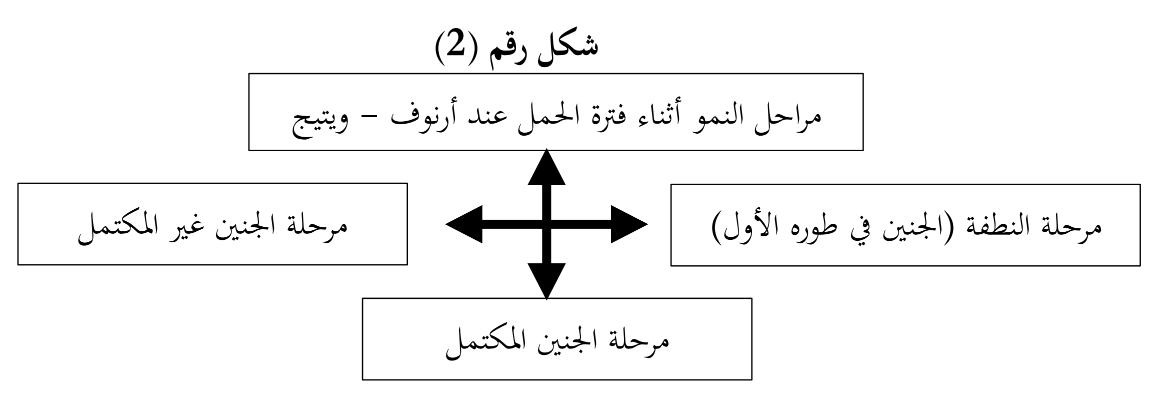
[7] حسن ملا عثمان: الطفولة في الاسلام (مكانتها وأسس تربية الطفل) دار المريخ – الرياض 1982م ص8.

[8] مصطفى فهمي: سيكولوجية الطفولة و المراهقة – دار مصر للطباعة – القاهرة 2004م ص35 – 36.

[9] David G . Myers: Psychology – Second edition – Worth Publishers I. N. C. New York 1686- p. 58.



شكل رقم (2)



و تعتبر مرحلة ما قبل الولادة هي الأساس، فإذا لم يكن الأساس سليماً فإن ما بني عليه لا يمكن أن يكون سليماً أيضاً، بل قد لا يمكن البناء عليه على الوجه المطلوب، وأساسيات المرحلة الأولى – أن يكون الأبوان خاليين من العيوب العقلية والأمراض الوراثية، وأن يكونا من ذوي الأخلاق الحميدة، لأن الطفل كما يرث من الأبوين الخصائص البيولوجية والسيكلوجية كذلك يرث الخصائص الأخلاقية([11]) ويتفق العلماء على أنما يحدث في رحم الأم خلال فترة الحمل تكون له نتائج مهمة على صحة الطفل العامة عند الولادة، وبلا شك يتضمن ذلك صحة جهاز النطق الذي يعوَّل عليه في الاكتساب اللغوي فيما بعد. فضلاً عن حالة الأم الصحية أثناء الحمل([12]). أما في ما يختص بالتعلم فالدليل على أن عملية التعلم لها أساس سيكلوجي، يؤخذ من الملاحظة العامة "General observation" وكذلك من الدراسة الطبية للحالة([13]).

كما تعتبر هذه المرحلة من المراحل البنائية المهمة في وضع الأساسيات الأولى لنفسية الجنين، حيث تبدأ العناية بالجنين جسمياً وروحياً وعقلياً عن طريق أمه ، التي تعطي جنينها كل ما يحتاجه، و هي تمنع عنه كل أذى، ولا تسمح للميكروبات بالدخول إليه بواسطة ذلك الحاجز المنيع المسمى المشيمة، ثم هي بعد ذلك تعطيه الغذاء مهضوماً جاهزاً وتعطيه الأوكسجين، و تأخذ منه السموم مثل البولينا وثاني أوكسيد الكربون([14]).

---

[10] أرنوف – ويتج: مقدمة في علم النفس – ترجمة: عادل عز الدين الأشول وآخرون – دار ماكجروهيل للنشر – طبعة القاهرة 2011م ص 49.

[11] يوسف مصطفى القاضي.د.مقداد بالجن:علم النفس التربوي في الاسلام- دار المريخ- السعودية 1981م ص91.

[12] عبد الستار إبراهيم: اسس علم النفس – دار المريخ – الرياض 2000م ص78.

[13]Chartes W. Telford – James M. Saworey: Psychology as anatural science – second edition – Brooks/cole Publishing company 1972 –P.184.

[14] ليلى عبد الرشيد عطار: الجانب التطبيقي في التربية الاسلامية –ص114.

بعد الإخصاب تبدأ مرحلة التربية الأساسية الأولية للجنين في مرحلة الحمل وهي مسؤولية الأم أساساً، لأن حالة المرأة الجسمية والنفسية تؤثر على الحمل. ويقرر علماء النفس أن القلق النفسي والضعف الشديد للمرأة مدة الحمل يؤثران على الطفل([15]). كما أن الفروق الفردية في الانفعالات وفي الاستقرار الانفعالي تتعلق إلى درجة معقولة بالأسس الوراثية([16]). وبهذا فإن القوى الوراثية قد تكون السبب في الكثير من أنواع السلوك. بل يذهب علماء النفس إلى أبعد من ذلك حيث يرى فكري داؤود أن التجارب الحديثة قد أثبتت أن الطفل يضحك ويبكي وهو مازال جنيناً، بحيث ينعكس عليه إحساس الأم بالسعادة أو الحزن([17]).

ومن هنا ندرك المغزى والارتباط التربوي بين حالة الأم النفسية والصحية وحالة جنينها عندما يغدو طفلاً، وأثر ذلك على نفسيته وانفعالاته وعواطفه سلباً وإيجاباً في مستقبل حياته.

لقد أثبتت الدراسات الحديثة أن من أهم العوامل التي تؤثر على حياة الجنين، طعام الأم وحالتها الانفعالية ومرض الأب أو الأم، و أثر شرب الخمر على الجنين([18]) ولحالة الأم الانفعالية أثرها في سريان الهرمونات المختلفة من الدم بنسب تختلف عن نسبتها الطبيعية، واستمرار هذا الأمر يؤدي إلى تأثر الجنين بتلك الهرمونات، ولاضطراب غدد الأم أثر في نقص أو زيادة إفراز الهرمونات وقد يؤدي هذا إلى نقص في نمو العظام أو الضعف العقلي. كما أن شعور الأم بالخوف ([19]) يؤثر في الجنين. و يمكن للأمراض التي تصاب بها الأم؛ وعلى الأخص تلك التي يصحبها ارتفاع في درجة الحرارة أن تضر بالجنين النامي، و عليه فإن إصابة الأم بأي من الأمراض المزمنة مثل السكر، الدرن، الزهري، السيلان، الأمراض المعدية للجهاز البولي، تكون سبباً في ظهور عيوب خلقية في الأطفال([20])، وهذا يوضح جلياً ضرورة الاهتمام بصحة الأم، من خلال إتاحة الفرصة لها لتجد حظها في التثقيف التربوي، الذي بواسطته تستطيع أن تحافظ على جنينها، وذلك بتطبيق كل ما يوصي به خبراء التربية واختصاصيو علم النفس. أما من حيث تطور الجنين فقد أشارت الدراسات الارتباطية أن أفضل عمر للأم يرتبط بالتطور السليم للطفل هو فترة العشرينات([21]) وما يجدر ذكره أن الولادة في حد ذاتها، تشكل نقطة حاسمة في حياة الكائن البشري، حيث يرى كل علماء النفس التكويني بأن الولادة

---

[15].يوسف مصطفى القاضي.د.مقداد بالجن: علم النفس التربوي في الاسلام- ص95.

[16].محمد جميل محمد يوسف:قراءات في مشكلات الطفولة – الطبعة الاولى- تهامة- جدة 1981م ص 248.

[17].فكري داود: نظرية جديدة (الكتاب الاول) دار العالم العربي للطباعة – القاهرة –بدون تاريخ ص 17.

[18]. فؤاد البهي السيد: الاسس النفسية للنمو من الفولة الى الشيخوخة – دار الفر العربي – القاهرة- بدون تاريخ ص 102-103.

[19]. محمد تقى فلسفي: الطفل بين الوراثة و التربية – تعريب–فاضل الحين الميلاني – دار التعارف للمطبوعات – بيروت2001م ص106.

[20].لندا ل.دافيدوف: مدخل علم النفس – الطبعة الثانية – ترجمة:د.سيد الطواب و آخرون- دارماكجروهيل للنشر- الطبعة العربية: دار المريخ – السعودية – و المكتبة الأكاديمية – القاهرة 1984م ص111.

[21]. شفيق فلاح حسان: أساسيات علم النفس التطوري – دار الجيل – بيروت – الطبعة الأولى 1989م ص67.

تمثل صدمة حقيقية يعيشها المولود الجديد وتخلق عنده خزان للقلق ينفس عنه خلال حياة الإنسان بأكملها: فبالاضافة إلى الآلام التي ترافق الولادة، هناك صدى الصدمة الفيسيولوجبة والعاطفة العنيفة التي يتكبدها الجنين في هذا العمل الذي يجعل منه مولوداً جديداً([22]).

*وخلاصة القول في مرحلة ما قبل الميلاد أن تأثير البيئة في الجنين ذو أهمية خاصة، حيث يجب الاهتمام بالآتي:

أ. الصحة العامة للأم.

ب. غذاء الأم.

ج. الحالة النفسية للأم.

د. الارشادات التربوية للأم ومن حولها.

حيث إن الحقيقة الماثلة أن عملية الإنجاب فطرية يسيرة قد يتقنها كل كائن حي، ولكن عملية التربية والتوجيه رسالة شاقة و نبيلة([23]) وعلى هذا يجب أن تكون الأم محاطة بالمشاركة الوجدانية والفهم([24])، حتى تتاح لها فرصة التربية السليمة.

المبحث الثاني: سنى المهد: "BABY-HOOD"

تبتدئ هذه المرحلة من لحظة الميلاد، وتستمر حتى نهاية العام الثاني من عمر الوليد. وفيها يبدأ الوليد حياته بمجموعة من الوظائف الفسيولوجية الضرورية كالتغذية والنمو والتنفس و الإخراج. وتعتبر الأسابيع الأولى بعد الولادة امتداداً لاشهر الحمل التسعة، وهي إعداد عملي للبيئة الجديدة. وهنا نقف عند وظيفة التنفس، فالطفل في هذه المرحلة – لا شعورياً – يتدرب جزئياً على طريقة تنظيم التنفس مما يساعده مستقبلاً في عملية الكلام.

والوليد في لحظة الولادة الأولى يبدأ تنفسه الشهيقي والزفيري، ويستطيع في الساعة الأولى من حياته أن يقوم بحركات عشوائية تلقائية، كما أنه يستطيع القيام بعملية الامتصاص للرضاعة وبعض الحركات المنعكسة كالعطاس والسعال([25]).

وما تجدر الإشارة إليه أنه لا يوجد فاصل بين الوظائف النفسية والوظائف الفسيولوجية في هذه الفترة المبكرة، إذ تتحدد حاجات الطفل وميوله ورغباته في تكوينه الحيوي العام، بما في ذلك عمليتا التغذية والإخراج والتكوين الكيميائي لسوائل

---

[22]. كرستين نصار: أيها الطفل من أنت؟ - جروس برس – لبنان – الطبعة الأولى 1991م ص31-32.

د.عبد الحميد محمد الهاشمي: علم النفس التكويني – الطبعة الثانية – بيروت – 2002م ص85.[23]

[24] D.W. Dean: Education for moral Improvement – The open university – 1991- p.18.

[25]د.عبد الحميد محمد الهاشمي: علم النفس التكويني– مرجع سابق - ص90.

جسمه، ووحدة نشاطه العضلي، ويمكن القول إن سلوك الطفل– أثناء هذه المرحلة– يتصل اتصالاً وثيقاً بالوظائف الفسيولوجية([26]).

أما من ناحية الفوائد النفسية والانفعالية، فتنعكس هذه الفوائد على الوليد في شعوره بالدفئ والحنان وهو ملتصق يجس نبضات قلب أمه. ويؤكد علماء النفس([27]) أن الرضاعة ليست إشباع حاجة فسيولوجية، وإنما هي موقف اجتماعي شامل، يشمل الرضيع والأم، وهو أول فرصة للتفاعل الاجتماعي.

ومما يلاحظ في هذه المرحلة أن الوليد في نمو مستمر، وهي مرحلة انطلاقة كبرى للقوة الكامنة، وهي مرحلة الإنجازات الكبيرة حيث تشهد نمواً جسمياً سريعاً، و تآزراً حسياً حركياً ملحوظاً في السيطرة على الحركات. وفيها يتعلم الرضيع الكلام، و يكتسب اللغة، والاحتكاك الاجتماعي، والنمو الانفعالي([28]).
وعندما يتقدم في النمو ويصل إلى ثمانية أشهر يمكنه أن يرفع الإناء ويشرب به([29]).

و في هذه المرحلة يهتم علماء النفس بضرورة اللعب للطفل، والأم الحكيمة هي التي تستطيع اختيار لعب طفلها المناسبة لنموه الزمني والعقلي، خاصة اللعب اللغوية التي ستساعد الطفل على بناء لغته. كما أن موقف الأم من الفطام في نهاية هذه المرحلة ينبغي أن يتسم بالاتزان الانفعالي والصبر، مما يؤدي إلى اعتماد الطفل على نفسه تدريجياً. و كلما قطعنا شوطاً في تربية الطفل، لا بد من الحذر وإعادة الموازنة.

ثم يمر الطفل في نموه بمراحل مختلفة تبدأ بالطفولة المبكرة، ثم الطفولة المتأخرة، والمراهقة. وسنتناول في هذا الجزء تأثير النمو في هذه المراحل على لغة الطفل من خلال مراحل اكتساب اللغة عند الطفل.

المبحث الثالث: اكتساب وإنتاج وإدراك اللغة

يولد الطفل وهو مزود بالقدرة على التعبير، إلا أنه لا يستطيع القيام بهذه الوظيفة فعلاً إلا بعد أن تصل الأجهزة الداخلية الخاصة بالكلام إلى درجة معينة من النضج، حيث تعتبر هذه الأجهزة هي المسؤولة عن نمط من الاستجابة معين ويحقق وظيفة معينة للفرد؛ هي عملية الكلام نفسها. حيث يتعلم الطفل الكلام في وقت معين، واللغة التي يتعلمها

---

[26].أحمد زكي صالح: علم النفس التربوي– ص95.

[27] ليلى عبد الرشيد عطار: الجانب التطبيقي في التربية الاسلامية –ص 122.

[28]ليلى عبد الرشيد عطار: الجانب التطبيقي في التربية الاسلامية –ص 124.

[29]Elizabeth B. Hurlock: Developmental psychology – fourth edition – mc Graw – Hill Company – New York – 1975 – p.70.

هي التي يســــمعها من أبويه والمحيطين به، إلا أن قدرة الطفل على تعلم لغة ما مشـروطة بنضج جهازه الصـوتي ووظائفه العقلية فيما يندرج تحت نمو الذات.

بيد أن الطفل يمر بمراحل معينة حتى يتعلم لغة أبويه وحتى يمكنه الكلام بهذه اللغةبطلاقة، وفي الواقع إن عـملية الكلام تتم بطريقة آلية دون أن يشعر الفرد بخصـائصها، مثله في ذلك مثل من يقود سـيارة، ففي بداية الأمر يشعر شـعوراً قوياً بحركات رجليه ويديه أثناء تعلم القيادة، أما بعد أن يمارس هذه العملية عدة مرات ويتقنها، فإنه في هــذه الحالة لا يكون انتباهه وتركيزه على حركات رجليه إطلاقاً، بل يتعامل مع القيادة أوتوماتيكياً.

كذلك الحال بالنسـبة للطفـل، فإنه في بادئ الأمر يشعر شعوراً قوياً بتركيب الأصــوات في لغة أبويه، واختلاف الصـيغ والربط بين الكلمات في الجملة، حتى تتم مراحل نمو اللغة لديه، وعندئذ لا يكون تفكيره وتركيزه منصـباً على خصــائص تلك الأصـوات أو تلك العبارات. فالطفل يولد وينمو في بيئة مشـحونة بأصوات ذات دلالة ومعنى ، أي أن الطفل يكون محاطاً باللغة من جميع الاتجاهات.

مراحل اكتساب اللغة عند الطفل : يرى دي سوسير أن اللغة: " تنظيم من الإشارات المفارقة "[30] . فالطفل على هذا يحاول أن يتعرف وينظم تلك الإشارات. وبذلك يمر اكتساب الطفل للغة بعدة مراحل يمكن إيجازها في المراحل اللغوية التالية:[31]

1– مرحلة ما قبل اللغة

ترتبط ارتباطاً وثيقاً بلحظة الميلاد التي يعبر فيها الطفل عن قدومه إلى الحياة بالصراخ. لقد فسر العلماء – على اختلاف توجهاتهم – الصراخ تفسيرات شتى، فالفسيولوجيون يعتبرونه مجرد اندفاع الهواء إلى الرئتين وإلى المجاري الهوائية التنفسية، ويعتبره علماء النفس التحليلي –خاصة أوتو رانك(O.Rank)– تعبير عن أولى الصدمات التي تعترض حياة الفرد وهي"صدمة الميلاد" بعد انفصال الطفل عن بطن أمه.

فعن طريق الصراخ يتم الاتصال بين الطفل ومحيطه الاجتماعي خاصة الوالدين ،كما يساهم الصراخ أيضاً في عملية هامة جداً وهي تعلم الطفل أن يتحكم في التنفس بحسب قوة الصراخ ودرجته.

يلعب الصراخ أيضاً دوراً في تكوين التناسق الحسي الحركي الذي يسبق اللغة ، فالطفل يلاحظ أنه عن طريق الصراخ تلبى له الكثير من الحاجات الفسيولوجية والنفسية (قدوم الأم لحمله وإرضاعه)، ثم يتطور ليصبح صراخاً انفعالياً يعبر

[30] فردينان دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، تعريب، محمد شاوس وآخرون، الدار العربية للكتاب، تونس، 1985، ص111
[31] مجموعة من الباحثين، اللغة والتواصل التربوي والثقافي، منشورات علوم التربية، المغرب، ط1 2008، ص25

عن حالة نفسية ، وبذلك يصبح الصراخ إشارة يستعملها الطفل كلما أراد شيئاً وأول وسيلة لاكتشاف الوظيفة الرمزية للغة.

إن بداية الاتصال بين الطفل والراشدين ترتكز على العلاقة بين الطفل والأم، ففي داخل هذه العلاقة يبدأ تكوين اللغة ، نلاحظ على الطفل قبل التغذية أو الرضاعة حركة مسبقة وهي صوت المص في الفراغ في غياب الثدي وهو يفعل ذلك إرادياً ، بعد هذه الحركة تأتي حركة صوتية أكثر انسجاماً واتساقاً هي المناغاة (حوالي شهر) التي عن طريقها يتكون الحوار بين الطفل والأبوين، فالأم تجيب باللغة والكلام والطفل يعيد المناغاة، وتقل المناغاة حينما يصبح لها هدف.

2- مرحلة لغة الصغار

كل ما يسبق هذه المرحلة يكتسب بالإعانة الخارجية (المحيط، الأبوان) خاصة مع دخول الأب في العلاقة مع الطفل، حيث يكون له دور إيجابي جداً في فهم الطفل وجعله يتلفظ ببداية كلمة، أما الأم فإن طفلها يتأثر بصوتها أكثر من تأثره بأصوات الآخرين، وينتقل الطفل أثناء هذه المرحلة من عملية إنتاج الأصوات غير المفهومة المختلفة إلى عملية إنتاج أصوات لها معنى ، فيبدأ تكوين العلاقة بين الصوت واللغة.

يبدأ أيضاً في هذه المرحلة فهم المتضادات، وفي الشهر العاشر يمكن للطفل أن يفرق بين بابا وماما، ومما يساعد على دخول اللغة في السلوكيات الاجتماعية هي القدرة على التمثيل التي تتطور في خط متواز مع اللغة. في هذه المرحلة ينتج الطفل وحدات لها معنى لكنها كلمات على شكل مقاطع، ثم يتوالى اكتساب الكلمات والمعاني ودلالاتها عند نمو الطفل: الحسي والحركي، الاجتماعي والنفسي، حيث يُكَوِّنُ الطفل رمزاً أو قانوناً سهلاً حسب تحليله وفهمه للواقع، كل كلمةجديدة تستعمل في تركيبات أخرى بعدها تظهر الجمل المقلِّدة لجمل الكبار.

3- مرحلة اللغة الحقيقية

الدخول في هذه المرحلة يبدأ بترك لغة الصغار ومفرداتها وتعبيراتها ، وبداية بنيات تشبه بنية اللغة، وهذا يكون بمساعدة من النمو العقلي والفكري، وللكبار دور أساسي في اكتساب الطفل للغة الحقيقية، لكن نلاحظ أنهم يستخدمون كلاماً غير منسق عندما يتكلمون مع الأطفال، وذلك باستعمالهم لـ Babytalk: هذه الطريقة تعتبر في نظر الكبار أحسن وسيلة للكلام والتعبير العاطفي، لكنها خاطئة ، لأن الطفل سيتعود عليها ويكون من الصعب عليه الخروج من مرحلة لغة الصغار. كما أن الطفل يبدأ في فهم معاني بعض المفردات اعتماداً على السياق الذي تحدث فيه.[32]

[32] عماد عبد الرحيم الزغلول، علم النفس المعرفي، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط11، 2003، ص241

أما الدور الحقيقي الذي يجب أن يلعبه الكبار هو إعطاء الطفل قدراً من الاطمئنان، حتى يخرج من مرحلة لغة الصغار. فللطفل رغبتان متضادتان من ناحية يريد تقمص الكبار ومن ناحية أخرى يفضل عالم الطفولة.

ما بين 3 و4 سنوات تتطور اللغة عند الطفل حسب نموذج لغة الكبار، حيث يترك الطفل لغة الصغار ويبدأ عنده التنسيق في الكلام، كما يتطور التمثيل العقلي لديه والتخيل والقدرة على الإبداع في إنتاج الكلمات والحكايات، ويساهم في نمو هذه المرحلة تكوين الأنا، التي تساعد الطفل على التعرف على ذاته، ويستبدل كلمة "هو" بكلمة "أنا "، فهذه المرحلة تعتبر في نظر الطفل أول اعتراف للطفل بنفسه ككل موحَّد(مرحلة تصميم الذات : وحدة الجسم والذات).

يقول بيشون (Pichon) في هذا الصدد:" إن اللغة الحقيقية تتكون عندالطفل عندما يبدأ استعمال كلمة *أنا* فباستعمال هذه الكلمة يدخل كلام الأطفال في قواعد وقوانين لغة الكبار"وبفضل الأنا وبفضل تكوين شخصيته، يصبح كلام الطفل جزءاً من حوار يتبادله مع الكبار، يبدأ الطفل في الأسئلة للوصول إلى المعرفة، ويكثر من كلمات" أين، متى، كيف....؟؟"

لكن السؤال الجوهري الذي يطرح نفسه في هذا السياق : كيف يملك الطفل القواعد اللغوية ؟ وهل لها تركيب خاص في ذهنه؟ وضع العلماء عدة افتراضات للجواب عن هذا السؤال:

- فهم الكلمات والمعاني يساعد على اكتساب تركيب اللغة (الطفل عندما يفهم معنى ودلالة كلمة ما يمكن أن يركبها لغوياً) ويساعده في ذلك التكرار وحاسة السمع التي تتعود على الكلمات وتألفها .
- دور المحيط مهم جداً في تكوين قواعد اللغة عند الطفل، فحسب المختصين يتعلم الطفل قواعد اللغة عن طريق تقليدالأم، وتقليد كلام الكبار في مرحلة ما قبل اللغة ومرحلة لغة الصغار، فهو يقطف من الجملة الكلمات التي يعرفها ويعيدها في جمل وتراكيب جديدة.
- لا يمكن إهمال الجانب الفطري والاستعدادات التي تظهر مع الطفل أثناء الولادة ، وفي هذا الصدد يقول ميلد (Mild): "للأطفال استعدادات ناتجة عن النمو وهي التي تدفعهم لاختيار الأشكال اللغوية المعروفة والمقبولة، وأيضاً يوجد تركيب بيولوجي هام جداً هو الذي يشكل اللغات الإنسانية."
- التطور الذي نلاحظه أيضاً في ميدان اللغة عند الطفل ناتج عن تفكير متواصل في اللغة، وناتج أيضاً عن تدريب تلقائي في اكتساب البنية اللغوية التي ترجع في الأساس إلى اكتساب المفاهيم من قبل.

لا بد من الإشارة إلى أن الكثير من الأبحاث أكدت على ضرورة وجود اللغة لحدوث العمليات المعرفية لدى الطفل، إلا أنه لا يمكن الجزم بعدم إمكانية حدوث تلك العمليات بدون اللغة، حيث وُجد أن الطفل الأصم يمكنه تنظيم عالم خبراته بدون لغة ما.

اللغة هي الوسيلة الوحيدة الحيوية والفعالة التي تعين الطفل على التعبير عن رغباته، سواء كان ذلك بالإيجاب أم بالسلب، إذ يبدأ الطفل الاستجابة للمواقف والأشياء بواسطة الإشارة، ثم يتعلم الاستجابات اللفظية تدريجياً، فينطق اللفظ الخاص بالشيء أو بالشخص، ويستطيع بالتدريج التعبير عن رغباته باستعمال الجمل بعد أن كان يستعمل الكلمة، وكلما نمت ذخيرته اللغوية وازدادت، استطاع أن يستخدم الرموز في حديثه، واستطاع أن يفهم الألفاظ التجريدية، وأن يتعامل بها مع غيره.

العوامل المؤثرة في النمو اللغوي:

هناك عدة عوامل تؤثر في نمو الحصيلة اللغوية منها:

1- العوامل الفسيولوجية :

يتحتم وجود الأجهزة الثلاثة حتى يتم اكتساب وإدراك وفهم اللغة من جهة، ومن جهة أخرى لابد من سلامة هذه الأجهزة وهي:

- الجهاز العصبي : الإعاقة الذهنية، الإصابات المخية والمخية الحركية والعصبية.
- الجهاز السمعي : الصمم وضعف السمع.
- الجهاز النطقي : تشوهات في أعضاء جهاز النطق.

2- عوامل نفسية: ومنها :

- علاقة الأم بطفلها.
- الحرمان العاطفي.
- اضطرابات نفسية وسلوكية عند الطفل.

3- عوامل اجتماعية :

توفرها الأسرة والمدرسة والمجتمع ككل ومنها:

- التنشئة الاجتماعية: وجود الطفل في بيئة لغوية سليمة.
- التفاعل اللفظي.
- الاتصال اللفظي.

4- عوامل عامة: ومنها:

* السن : كلما كبر الطفل في السن كلما ازداد نموه اللغوي.

* الجنس: يعتقد الباحثون أن الإناث أكثر كفاءة على اكتساب اللغة من الذكور، ويعطون أدلة على ذلك بقدرة الإناث على اكتساب عدد أكبر من الكلمات، وسرعة نمو اللغة عندهن تفوق السرعة عند الذكور، كما إن إجادة اللغة وإتقانها يبدو أكثر عند الإناث منه عند الذكور.

الخاتمة والنتائج

بحمد الله تعالى، قد تناول هذا البحث موضوع تأثير نمو الذات على مراحل اكتساب اللغة عند الطفل.حيث أشار البحث إلى مراحل النمو والغرض من دراستها، كما بيَّنَ البحث أهمية العوامل الخارجية التي تؤثر في حياة الطفل ولغته. وأعطي فكرة عن تطور الجنين في الأسابيع الأولى وعلاقة الأم بجنينها بحيث ندرك المغزى والارتباط التربوي بين حالة الأم النفسية والصحية وحالة جنينها عندما يغدو طفلاً، وأثر ذلك على نفسيته وانفعالاته وعواطفه ولغته سلباً وإيجاباً في مستقبل حياته، وتأثير ذلك على تكوين لغته. وقد تناول البحث أيضاً مراحل اكتساب اللغة عند الطفل ودور نمو الذات في هذه المراحل المختلفة. وأشار أيضاً إلى العوامل التي تؤثر في نمو الحصيلة اللغوية المتمثلة في العوامل الفسيولوجية والنفسية والاجتماعية وعوامل أخرى عامة.

ولقد خلص البحث إلى أن نمو الذات له دور كبير في التأثير على لغة الطفل، كما أن الوالدين لهما دور كبير في مساعدة الطفل لينمو نمواً لغوياً سليماً. وأشار البحث إلى ضرورة سلامة أعضاء جهاز النطق وخلوه من العيوب حتى يتم اكتساب وإدراك وفهم اللغة. ومن جهة أخرى لا بد من سلامة الجهاز السمعي الذي له دور كبير في مساعدة الطفل على تمييز الأصوات. ولابد من ذكر إن وجود بيئة لغوية سليمة يسهم في دعم عمليتي التفاعل اللفظي والاتصال اللفظي عند الطفل.

المراجع

القرآن الكريم

إبراهيم، عبد الستار. 2000. أسس علم النفس. دار المريخ.السعودية.

أرنوف – ويتج. 2011. مقدمة في علم النفس. ترجمة: عادل عز الدين الأشول وآخرون. دار ماكجروهيل للنشر.

أولسون، ويلارد. 1962. تطور نمو الأطفال.ترجمة: إبراهيم حافظ واخرون عالم الكتب.القاهرة.

الجسماني، عبد العلي.1994. سيكولوجية الطفولة و المراهقة و حقائقها الأساسة. الدار العربية للعلوم. بيروت ط1.

حسان، شفيق فلاح. 1989. أساسيات علم النفس التطوري. دار الجيل. بيروت.ط1.

دافيدوف، لندا ل. دت. مدخل إلى علم النفس. ترجمة:سيد الطواب وآخرون. دار المريخ.السعودية.

داود، فكري. دت. نظرية جديدة (الكتاب الاول). دار العالم العربي للطباعة.القاهرة.

زبعور،علي. 1985. التربية و علم نفس الولد. دار الاندلس. بيروت. ط1.

السيد، فؤاد البهي.دت. الأسس النفسية للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة. دار الفكر العربي. القاهرة.

عثمان، حسن ملا.1982. الطفولة في الاسلام (مكانتها وأسس تربية الطفل). دار المريخ. الرياض.

عطار، ليلى عبد الرشيد. دت. الجانب التطبيقي في التربية الاسلامية.

فلسفي، محمد تقى. 2001 الطفل بين الوراثة والتربية. تعريب: فاضل الحين الميلاني. دار التعارف للمطبوعات. بيروت.

فهمي، مصطفى. 2004. سيكولوجية الطفولة والمراهقة. دار مصر للطباعة. القاهرة.

القاضي، يوسف مصطفى. ومقداد بالجن. 1981. علم النفس التربوي في الاسلام. دار المريخ. السعودية.

نصار،كرستين.1991. أيها الطفل من أنت؟ جروس برس. لبنان .ط1.

الهاشمي، عبد الحميد محمد. 2002. علم النفس التكويني. بيروت. ط2..

يوسف، محمد جميل محمد. 1981. قراءات في مشكلات الطفولة. تهامة.جدة.ط1.

Chartes W. Telford – James M. Saworey: Psychology as anatural science – second edition – Brooks/cole Publishing company 1972 –P.184.

David G . Myers: Psychology – Second edition – Worth Publishers I. N. C. New York 1686- p. 58.

Elizabeth B. Hurlock: Developmental psychology – fourth edition – mc Graw – Hill Company – New York – 1975 – p.70.

P .M. Pickard : Psychology of developing children-London, 1970- p.13.

D.W. Dean: Education for moral Improvement – The open university – 1991- p.18.

تم بحمد الله تعالى